«يُنشرُ لأوَّلِ مرَّةٍ عن نُسخةٍ خطِّيَّةٍ»

نَصيحةُ الحافظِ عبدِ الغنيِّ بنِ عبدِ الواحدِ المقدسيِّ

لِلملكِ العزيزِ عُثمانَ بنِ يوسُفَ بنِ أيُّوبَ

وبِذيْلِهِ

نَصيحةُ الحافظِ عُبيدِ اللهِ ابنِ بطَّةَ العُكبريِّ

لِأحدِ إخْوانِهِ يُصبِّرُهُ ويُسلِّيهِ فِيها

اعتنى بها

مأمون الشَّامي



«يُنشرُ لأوَّلَ مرَّةٍ عَن نُسخةٍ خَطِّيَّةٍ»

نَصيحةُ الحافِظِ عبدِ الغَنِيِّ بنِ عبدِ الواحِدِ المقدسيِّ لِلملِكِ العَزيزِ عُثمانَ بنِ يوسُفَ بنِ أيُوبَ

وَبِذَيْلِهِ

نَصيحةُ الحافِظِ عُبيدِ اللهِ ابنِ بَطَّةَ العُكبَرِيِّ

لِأَحَدِ إخوانِهِ يُصَبِّرُهُ ويُسَلِّيهِ فِيها

اعتنى بها

مأمون الشّامي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ أفضل المرسلين وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد، فهاتان رسالتان لطيفتان ونبذتان شريفتان من درر تراث أئمتنا الحنابلة؛ تُنشران للمرة الأولىٰ. اشتملتا علىٰ جملة من الآداب المرعية، والنصائح السَّنية التي لا يستغني عنها مريد نجاة.

أما الأولىٰ فهي للحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله، وهي نصيحة وعظية ومنهجية وجَّهَ بها إلىٰ أحد ولاة الأمر في عصره، وهو الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف الأيوبي. وهذه النصيحة ترسم له معالم السياسة الشرعية التي تربط بين صلاح الراعي وصلاح الرعية، وبين الاستقامة الدينية والنصر الدنيوي.

والثانية للإمام عبيد الله ابن بطة العكبري رحمه الله، وهي رسالة تثبيت وتسلية بليغة، وجَّهها لتعزية أحد إخوانه عند حلول محنةٍ ألمت به. ولم تتضمن طياتُ هذه الرسالة تعييناً لهوية المُرسَل إليه. وقد قرَّر ابن بطة في هذه الرسالة أنَّ الابتلاء سنَّةٌ إلهيَّة جارية، يتردَّد بين رفع الدرجات وتمحيص السيئات، وبه يُمتحن صدق الإيمان من خلال الصبر علىٰ الشدائد.

وهو في ذلك مسلكُ الأنبياء والصالحين؛ إذ يشتدّ البلاء بقدر قوّة الإيمان. ثم ساق نماذج من سير السلف الأوائل في تحمُّل الأذىٰ في سبيل الله.

وقد جَمَعتِ الرسالتان بين جودة السبك، وتمحيضِ النصح، وعمق الأثر، ليكونَا نبراسًا يهتدي به السالك في طريق الاستقامة، وزاداً يعين علىٰ تهذيب النفس.

وقد صدَّرتُ هذه النشرةَ بتراجمٍ مختصرةٍ للمؤلِّفَيْن، وبترجمةٍ للملك الذي وجَّه إليه الحافظُ عبد الغني نصيحته، كما عرَّفتُ بإيجازٍ بالنسخة الخطيّة المعتمدة. وخرَّجتُ ما تيسَّر الوقوفُ عليه من الأخبار والمنقولات، وبذلتُ الوسعَ في تحقيق النص وتصحيحه وتقويمه علىٰ قدر الإمكان.

وإلىٰ اللهِ أبتهلُ أن يجعلَ عملي هذا مقبولاً خالصًا لوجهه، وأن يكتب لي التوفيق في سائر قولي وعملي إنه وليُّ ذلكَ والقادرُ عليه.

مأمون الشّامي

١١ شوال سنة ١٤٤٧هـ

ترجمة الحافظ عبد الغني المقدسي

اسمه ونسبه وكنيته:

عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور. تقي الدين، أبو محمد المقدسي الجَمَّاعِيلي، ثم الدمشقي، الصالحي، الحنبلي.

مولده:

ولد سنة ٥٤١هـ. هو والشيخ الموفق في عام، وهما ابنا خالة، ولدا بجَمَّاعِيل.

شيوخه:

سمع من خلق كثير في رحلاته العلمية، منهم:

سمع بدمشق أبا المكارم عبد الواحد بن هلال، وأبا المعالي بن صابر، وسلمان بن علي الرحبي. وببغداد: أبا الفتح ابن البطي، والشيخ عبد القادر، وأبا زرعة المقدسي، وهبة الله بن هلال الدقاق، وأحمد ابن المقرب، وأبا بكر ابن النقور، والمبارك بن المبارك السمسار، وأحمد بن عبد الغني الباجسرائي، ومعمر بن الفاخر، ويحيىٰ بن ثابت، والمبارك بن خضر، ويحيىٰ بن علي الخيمي، والمبارك بن محمد البادرائي، وأبا محمد ابن الخشاب، وطبقتهم. وبالموصل: أبا الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب، وبهمذان عبد الرزاق بن إسماعيل القومساني، ونسيبه المطهر بن عبد الكريم، وإسماعيل بن محمد بن إسماعيل القومساني،

وجماعة. وبأصبهان: الحافظ أبا موسىٰ المديني، وأبا سعد محمد بن عبد الواحد الصائغ، وأبا رشيد إسماعيل بن غانم البيع، وأبا الفتح بن أحمد الخرقي، وأحمد بن منصور الترك، وأبا رشيد حبيب بن إبراهيم، وأبا غالب محمد بن محمد بن ناصر، وسفيان وعليًا ابني أبي الفضل بن أبي طاهر الخرقي، وبنيمان بن أبي الفوارس السباك، ومعاوية بن علي الصوفي، وحمزة بن أبي الفتح الطبري، وغيرهم. وبالإسكندرية: أبا طاهر السلفي فأكثر، وأبا محمد عبد الله العثماني، وعبد الرحمن بن خلف الله المقرئ، وجماعة. وبمصر: محمد بن علي الرحبي، وعلي بن هبة الله الكاملي، وعبد الله بن بري النحوي، وجماعة. وحدث بإصبهان، وبغداد، ودمشق، ومصر، وغيرها.

تلاميذه:

روىٰ عنه عدد كبير من الأئمة والحفاظ، منهم:

ابن خالته الشيخ موفق الدين ابن قدامة. والحافظ عبد القادر الرهاوي. وولداه: أبو الفتح محمد وأبو موسىٰ عبد الله. والحافظ الضياء المقدسي صاحب «الأحاديث المختارة». والحافظ يوسف بن خليل، والفقيه اليونيني، وغيرهم.

مؤلفاته:

صنف تصانيف مفيدة وعظيمة القدر، منها:

«كتاب المصباح في الأحاديث الصحاح»، «كتاب نهاية المراد في السنن»، «كتاب اليواقيت»، «كتاب تحفة الطالبين في الجهاد والمجاهدين»، «كتاب الروضة»، «كتاب فضائل خير البرية»، «كتاب الذكر»، «كتاب الإسراء»، «كتاب التهجد»، «كتاب الفَرَج»، «كتاب صلات الأحياء إلىٰ الأموات»، «كتاب الصفات»، «كتاب محنة أحمد»، «كتاب ذم الرياء»، «ذم الغيبة»، «الترغيب في الدعاء»، «الأمر بالمعروف»، «كتاب فضائل مكة»، «فضائل رمضان»، «فضائل العشر»، «فضائل الصدقة»، «فضائل الحج»، «فضائل رجب»، «وفاة النبي صلىٰ الله عليه وسلم»، «أقسام النبي صلىٰ الله عليه وسلم»، «الأربعين من كلام رب العالمين»، «أربعون حديثًا بسند واحد»، «اعتقاد الشافعي»، «كتاب الحكايات»، «كتاب غنية الحفاظ في مشكل الألفاظ»، «ذكر القبور»، «مناقب عمر بن عبد العزيز»، «أجزاء في الأحاديث والحكايات»، «الأحكام»، «العمدة في الأحكام»، «كتاب درر الأثر»، «كتاب السيرة النبوية»، «النصيحة في الأدعية الصحيحة»، «الاعتقاد»، «تبيين أوهام أبي نعيم الحافظ في الصحابة»، «كتاب الكمال في معرفة الرجال».

ثناء العلماء عليه:

- قال أبو موسىٰ المديني عنه: قلَّ من قدم علينا يفهم هذا الشأن كفهمه.. ولو كان الدارقطني وأمثاله في الأحياء لصوبوا فعله.

- وقال أبو عبد الله ابن النجار: حدث بالكثير، وصنف في الحديث تصانيف حسنة. وكان غزير الحفظ، من أهل الإتقان والتجويد، قيما بجميع فنون الحديث، عارفًا بقوانينه، وأصوله، وعلله، وصحيحه، وسقيمه، وناسخه، ومنسوخه، وغريبه، ومشكله، وفقهه، ومعانيه، وضبط أسماء رواته. وكان كثير العبادة، ورعًا، متمسكا بالسنة علىٰ قانون السلف. ولم يزل بدمشق - يعني بعد رجوعه من إصبهان - يحدث وينتفع به الناس، إلىٰ أن تكلم في الصفات والقرآن بشيء أنكره عليه أهل التأويل من الفقهاء، وشنعوا عليه، وعقد له مجلس بدار السلطان، حضره الفقهاء والقضاة، فأصر علىٰ قوله، وأباحوا إراقة دمه فشفع فيه جماعة إلىٰ السلطان من الأمراء الأكراد، وتوسطوا في القضية علىٰ أن يخرج من دمشق، فأخرج إلىٰ مصر، وأقام بها خاملاً إلىٰ حين وفاته.

- وقال التاج الكندي: لم يكن بعد الدارقطني مثل الحافظ عبد الغني.

- وقال الموفق ابن قدامة: كان رفيقي في الصبا وفي طلب العلم، وما كنا نستبق إلىٰ خير إلا سبقني إليه.

- وقال الشيخ موفق الدين: كان جوادًا، يُؤثرُ بما تصل إليه يدُهُ سِرًا وعلانية.

- وقال الضياء المقدسي: كان الحافظ عبد الغني أمير المؤمنين في الحديث.

- وقال الضياء: ما أعرف أحدًا من أهل السُّنَّة رأىٰ الحافظَ عبد الغني إلَّا أحبَّه حُبًّا شديدًا، ومدحه مدحًا كثيرًا، وكان إذا مَرَّ بأصبهان يعطف الناس بالسوق، فينظرون إِليه، ولو أقام بأصبهان مدةً وأراد أنْ يملكها لملكها مِنْ حُبِّهم له ورغبتهم فيه.

- وقال ابن ناصر الدين: هو محدِّث الإِسلام وأحد الأَئمة المبرزين الأعلام، ذو ورعٍ وعبادة، وتمسكٍ بالآثار، وأمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن المُنْكر.

- وقال يوسف بن خليل: وكان ثقة ثبتًا دينًا مأمونًا، حسن التصنيف، دائم الصيام، كان يصلي كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة. دعي إلىٰ أن يقول «لفظي بالقرآن مخلوق» فأبىٰ، فمنع من التحدث بدمشق، فسافر إِلَىٰ مصر فأقام بها إِلَىٰ أن مات.

عقيدته:

اتسمت عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي بالتمسك الصارم بمنهج السلف وأهل الحديث، حيث كان يرىٰ أن الحق يدور مع نصوص الوحيين في إثبات صفات الله تعالىٰ كما وردت، دون خوض في تأويلات المتكلمين التي يراها معطلة لحقائق النصوص. وقد تجلىٰ هذا المنهج في إصراره علىٰ إثبات صفات مثل النزول الإلهي والحرف والصوت في كلام الله، معتبرًا أن نفي حقيقتها هو خروج عما كان عليه الصدر الأول، وهو ما أدىٰ إلىٰ وقوع صدام

تاريخي بينه وبين فقهاء عصره من أهل التأويل الذين رموه بالتشبيه والتجسيم وأوغروا قلب السلطان عليه وسعوا في قتله.

ورغم المحن العظيمة التي واجهها، بدءًا من عقد المجالس لمحاكمته بدار السلطان بدمشق، ووصولاً إلىٰ كسر منبره ومنعه من التدريس ثم نفيه إلىٰ مصر، والسعي في قتله. إلا أنه أظهر ثباتـاً منقطع النظير في الدفاع عن معتقده، مؤكداً أن قوله ليس إلا صدىً لما قاله الله في كتابه وما صح عن رسوله ﷺ. وهو المنهج الذي وثقه في مصنفاته العقدية مثل كتاب «الصفات» وكتاب «الاعتقاد»، وغيرهما.

وفاته:

يوم الإثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ستمائة. وبقي ليلة الثلاثاء في المسجد، واجتمع من الغد خلق كثير من الأئمة والأمراء والناس ما لا يحصيهم إلا الله. ودُفن بالقرافة. فرحمه الله ورضي عنه.

مصادر ترجمته:

«ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (٣/ ١)، «تاريخ الإسلام» (١٢/ ١٢٠٣)، «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٤٤٣).

ترجمة الحافظ عُبيد الله ابن بطة العُكبَري

اسمه ونسبه وكنيته:

هو عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، أبو عبد الله بن بطة العُكْبَري، الفقيه الحنبلي.

مولده:

ولد في شهر شوال سنة ٣٠٤ هـ. بدأت رحلته العلمية مبكرًا بتشجيع من والده، حيث قدم بغداد في أواخر سنة ٣١٥ هـ للسماع من أبي القاسم البغوي.

شيوخه:

سمع من كبار علماء عصره في مكة والثغور والبصرة والشام وغير ذلك من البلاد، منهم:

أبو القاسم البغوي، سمع منه كتاب «المعجم». وابن صاعد، وأبو ذر ابن الباغندي، وأبو بكر بن زياد، وإسماعيل الوراق، والمحاملي، ومحمد بن مخلد الدوري، وجعفر القافلائي، وأبا القاسم الخرقي، وأبا بكر عبد العزيز غلام الخلال، وغيرهم.

تلاميذه:

روىٰ عنه جماعة من العلماء والحفاظ، منهم:

أبو نعيم الحافظ صاحب «الحلية»، وأبو الفتح بن أبي الفوارس، وأبو القاسم الأزهري، وعبد العزيز الأزجي، وأحمد بن محمد العتيقي، وأبو محمد الجوهري. وآخر من روىٰ عنه بالإجازة أبو القاسم علي بن أحمد بن البسري.

وسمعه جماعة من شيوخ المذهب: أبو حفص العكبري وأبو حفص البرمكي وأبو عبد الله ابن حامد وأبو علي بن شهاب وأبو إسحاق البرمكي في آخرين.

مؤلفاته:

له مصنفات مشهورة، قيل أنها تزيد علىٰ المائة، منها:

«الإبانة الكبرىٰ»، و«الإبانة الصغرىٰ»، «المناسك»، «النهي عن الصلاة النافلة بعد العصر وبعد الفجر»، «منع الخروج بعد الأذان والإقامة بغير حاجة»، «إيجاب الصداق بالخلوة»، «إبطال الحيل»، «الرد علىٰ من قال الطلاق الثلاث لا يقع»، «الحمّام»، «جوابات مسائل البرمكي»، «جوابات مسائل ابن شاقلا»، «تحريم نكاح المتعة»، «تحريم الخمر»، «تحريم النبيذ»، «أحكام النساء»، «النكاح»، «الطرقات»، «جزء فيه اتخاذ السقاية والمطاهر في رحبة المسجد»، «الإنكار علىٰ من قضىٰ بكتب الصحف الأولىٰ»، «الإنكار علىٰ من أخذ القرآن

من الصحف»، «تحريم النميمة»، «صلاة الجماعة»، «فضل المؤمن»، «صلاة النافلة فِي شهر رمضان بعد المكتوبة»، «ذم البخل»، «ذم الغناء والاستماع إليه»، «التفرد والعزلة».

ثناء العلماء عليه:

- قال أبو عبد الله بن مهران المستملي: مخاطبًا إياه: يا ثبت الإسلام.

- وقال أبو حامد الدلوي: لما رجع أبو عبد الله بن بطة من الرحلة لازم بيته أربعين سنة، فلم ير يومـًا منها في سوق، ولا رؤي مفطراً إلا في يوم الأضحىٰ والفطر. وكان أمارًا بالمعروف، ولم يبلغه خبر منكر إلا غيره.

- وقال عبد الواحد بن علي العكبري: لم أر في شيوخ أصحاب الحديث ولا في غيرهم أحسن هيئة من ابن بطة.

- وقال العتيقي: كان شيخًا صالحًا مستجاب الدعوة.

- وقال الذهبي: كان إمامًا في السنّة، إمامًا في الفقه، صاحب أحوال وإجابة دعوة، رضي الله عنه.

- وقال ابن ناصر الدين: كان أحد المحدثين العلماء الزهَّاد، وكان في عينه ناصور، وقد وصف له ترك العشاء، فكان يجعل عشاءه قبل الفجر بيسير ولا ينام حتىٰ يصبح، وكان عالمًا بمنازل النيرين، ويقال: إنه أفتىٰ وهو ابن خمس عشرة سنة.

- وقال أبو ذر الهروي الأشعري: ولم أر أحدًا في جميع من رأيت من أهل العلم أحسن هديًا وسمتًا، ولا أشبه طريقة بالسلف منه رحمه الله، ولا أزكيه علىٰ الله، ولم أر مثله من العلماء.

عقيدته:

تمثلت عقيدته كغيره من أئمة المحدثين في التمسك بما كان عليه السلف الصالح وأصحاب الحديث، وعلىٰ التسليم المطلق لنصوص الكتاب والسنة وتقديم الآثار عن الصحابة والتابعين علىٰ معقولات المتكلمين وآرائهم. وقد اشتهر بصلابته في إثبات صفات الله تعالىٰ كما وردت في الوحيين، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف. محذرًا بشدة من مذاهب الجهمية والخوارج والمرجئة والرافضة والقدرية وأهل الكلام. وهو ما بسطه بتوسع في كتابه العظيم «الإبانة»، الذي أودع فيه وحشد الكثير الطيب من الآثار المسندة لتوثيق منهج الفرقة الناجية، واحتفظ لنا بجملة كبيرة من أقوال أئمة السنة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، وفي الرد علىٰ الفرق المبتدعة.

وفاته:

توفي رحمه الله في عاشوراء من شهر المحرم سنة ٣٨٧ هـ، بعُكبَرا عن عمر ناهز ٨٣ عامًا.

مصادر ترجمته:

«تاريخ بغداد» (١٢/ ١٠٠)، «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلىٰ (٣/ ٢٥٦)، «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٥٢٩)، «تاريخ الإسلام» (٨/ ٦١٢)، «ميزان الاعتدال» (٣/ ١٥)، «المعجم لشيوخ أبي ذر الهروي» (٣٢٤)، «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل» (٢/ ٥٦١).

ترجمة الملك العزيز عثمان بن يوسف بن أيوب

هو عثمان بن يوسف بن أيوب بن شاذي، السلطان الملك العزيز، أبو الفتح وأبو عمرو، عماد الدين ابن السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي.

ولد في شهر جمادىٰ الأولىٰ سنة ٥٦٧ هـ.

كان مهتمًا بطلب العلم، وقد سمع من كبار المسندين في عصره، ومنهم: الحافظ أبو طاهر السِّلفي، وأبو الطاهر بن عوف، عبد الله بن بري النحوي، وحدث بثغر الإسكندرية.

وُصِف بأنه كان شابًا حسن الصورة، ظريف الشمائل، حييًا كريمًا، شجاعًا مقدامًا. عُرف بعفته عن الأموال والفروج؛ فكان يترفع عن أموال الرعية لذلك أحبته محبة عظيمة.

مَلَكَ ديار مصر بعد والده صلاح الدين، وكان لا بأس في سيرته. قصد دمشق وملكها، وضُربت السكة وخُطب له فيها وفي حلب، وأنشأ بدمشق المدرسة العزيزية.

وقد كان منحرفًا عن الحنابلة، قال الذهبي: نقلتُ من خط الضياء الحافظ، قال: خرج إلىٰ الصيد، فجاءته كتب من دمشق في أذية أصحابنا الحنابلة – يعني في فتنة الحافظ عبد الغني – فقال: إذا رجعنا من هذه السفرة، كل من كان يقول بمقالتهم أخرجناه من بلدنا. فرماه فرسه، ووقع عليه فخسف صدره. كذا حدثني يوسف بن الطفيل، وهو الذي غسله. وقد ذكر بعض من ترجم له أن ذلك وقع إثر دعاء بعض صالحي الحنابلة عليه.

توفي في ٢٠ من المحرم سنة ٥٩٥ هـ، فكانت مدة ملكه ست سنين إلا شهرًا. وكانت مدة عمره سبعًا وعشرين سنة وأشهرًا.

مصادر ترجمته:

«تاريخ الإسلام» (١٢/ ١٠٣٣)، «الوافي بالوفيات» (١٩/ ٣٤٠)، «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» (٦/ ١٢٠)، «مفرج الكروب في أخبار بني أيوب» (٣/ ٨٢)، «سلم الوصول إلىٰ طبقات الفحول» (٢/ ٣٣٥).

وصف النسخة المعتمدة في التحقيق

مصدر هاتين الرسالتين هو كتاب «الأحاديث المسموعة في أحد مدارس الحنفية أو الشافعية أو المالكية أو الحنابلة» لمحمد ابن طولون الدمشقي (ت٩٥٢هـ)، وهو كتاب كتبه بخطه قال في مقدمته: هذا تعليق يشتمل علىٰ أحاديثَ وآثار، وحكايات وأشعار، اتَّفق لي سماعُها أو إسماعها في إحدىٰ مدارس الحنفية أو الشافعية أو المالكية أو الحنابلة، مرتَّبةً علىٰ حروف الهجاء من أجزاء حديثيَّة لغيري أو منتقَيات منها لنفسي. وقد ذكرتُ تراجم واقفي هذه المدارس ومدرِّسيها في تلخيص تنبيه الطالب، وإذا كانت المدرسة مشتركةً بين مذهبين اكتفيتُ بذِكرها في الأول.اهـ وهو كتاب مخطوط لم يطبع بعد.

ومن جملة المنتقيات التي أوردها هاتان الرسالتان، ساقهما بإسناده إلىٰ مصنفَيها. وكان ساق قبلها نصيحة الحافظ ضياء الدين المقدسي للملك الأشرف موسىٰ. وقد سبق أن طُبعت باعتناء علي بن صالح الصمعاني وصدرت عن دار البشائر ضمن لقاء العشر الأواخر في المسجد الحرام (٣٥٩). وسبق هذه الطبعة لهذا الكتاب طبعتان: الأولىٰ بتحقيق علي الحلبي، والثانية بتحقيق مطيع الحافظ، وتكلم عنهما الصمعاني بالتفصيل في مقدمة تحقيقه. وبالرجوع إلىٰ مظانِّ ترجمة المُؤَلِّفَيْنِ، لم أقف علىٰ من أشار إلىٰ هاتين الرِّسالتين بين مُصَنَّفاتِهِما.

ويقع الأصل الخطي لكتاب ابن طولون السالف الذكر ضمن مجموع مكتوب بخَطِّه كما تقدم. والمجموع يضم الكتاب المذكور وغيره. ونسخته محفوظة في مكتبة تشستربيتي في إيرلندا، تحت رقم (٣١٠١).

وقد جاءت هاتان الرسالتان تحت ترجمة المدرسة «الشبليَّة البرانيَّة بسفح قاسيون». وتبدأ الأولىٰ منهما – وهي رسالة الحافظ عبد الغني – بالورقة (٤١/ ب) وتنتهي (٤٢/ ب). وتبدأ رسالة ابن بطة علىٰ إثرها مباشرة وتنتهي (٤٤/ أ).

وقد أفدتُ بخبر هذا الكتاب من أخٍ كريمٍ له عنايةٌ بالغةٌ بتَتَبُّعِ فهارس المخطوطات ونوادرها في مظانِّها حول العالم، واستخراجِ مكنوناتِها. فبارك الله في جهوده ونفع به.

نماذج مصورة من النسخة الخطيَّة المعتمدة

منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن
المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ثم ليلعننكم كما لعنهم
وجاء في الآثار أن الله عز وجل يقول مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوني فلا أستجيب لكم وتستنصروني
فلا أنصركم وقال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض واعلم أن مسالمة الرعية في سبيل الله [illegible]
الأمر في التوزيع من [illegible] والتوبة [illegible] كل الأمور عليه قال [illegible]
[illegible] الناس على [illegible] قبل العذر [illegible] الناس [illegible]
بأخذ قلبك [illegible] فقال النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] القلوب [illegible]
[illegible] الدنيا والآخرة [illegible] الأثر [illegible] قال الإمام [illegible]
إلى الشيخ الإمام العالم [illegible] أبو عبد الله محمد بن [illegible] الكبكبي [illegible]
السلام [illegible] أبو العباس أحمد بن [illegible] أبو عبد الله محمد بن [illegible]
عبد الله [illegible] بنت عبد الوهاب [illegible]
كلاهما عن أبي [illegible] مسعود بن [illegible] وأبي عبد الله [illegible] أبو العباس [illegible]
[illegible] أبو عبد الله [illegible] قال الإمام [illegible]
[illegible] الأمور [illegible] الكرم [illegible] والصبر على [illegible]
[illegible] العادات [illegible] والرحمة لجميع الخلق [illegible]
على [illegible] القلب [illegible]
[illegible] تعالى [illegible]
[illegible] عز وجل [illegible]
[illegible]
[illegible] قيل [illegible]
الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين فقال [illegible]
[illegible] الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة وأولئك هم المهتدون [illegible] الله عز وجل [illegible] الوتر [illegible]
وكذا [illegible] العقل [illegible] لكل [illegible] من كل شيء [illegible]
[illegible]
[illegible] فيما [illegible] وقال [illegible] في الكتاب [illegible]

نصيحةُ الحَافِظِ عَبدِ الغَنِي بنِ عَبدِ الوَاحِدِ المَقْدسِي الحَنبَلي للمَلِكِ العَزيزِ عُثْمَانَ بنِ يُوسُفَ بنِ أيُوبَ

قال محمد بن طولون الدمشقي: وقد سبقه[1] إلىٰ النَّصيحةِ الحافظُ التَّقيُ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي للملك العزيز عثمان بن يوسف بن أيوب، وذلك فيما قَرَأتُه علىٰ أبي البقاء محمد بن العماد العُمَري، عن أم يوسف [٤٢/أ] خديجة ابنة علي العُمرية، عن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن الخَبَّاز، أنا الحافظ التقي عبد الغني المقدسي، فقال بعد البسملة والحمدلة والصلاة علىٰ محمد وآله:

أما بعدُ، فإنِّي أُذَكِّرُكَ باللهِ الذي أنعمَ عليكَ وأحسنَ إليكَ وأكثرَ مِنَنَهُ لديك، أن تُؤثِر طاعتَهُ ومرضاتِهِ، وتجتَنِب سخطَهُ ومخالفتَه، وتستَمِدَّ منه التوفيقَ والنَّصرَ والتَّمكينَ، وتمامَ النِّعمةِ وبلوغَ الأُمنيةِ من خيرِ الدنيا والآخرةِ، بالنُّزوعِ عن معصيته، والمسارعةِ إلىٰ رضوانِهِ وطاعتِهِ. فإن الفوزَ في الدنيا والآخرة في طاعتِهِ وطاعةِ رسولِهِ. فقد قالَ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]. وأُحَذِّرُكَ نقمتَهُ وسطوَتَهُ، فإنه قال عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

فَيَا مَنْ العيونُ لهُ رامقةٌ، والقلوبُ في محبَّتِهِ صادقةٌ؛ حَقِّقْ آمالَ المُحبينَ وأسخِنْ أعينَ الأعداءِ والحاسدينَ. فبادِرْ إلىٰ جَمعِ شملِ المُوحِّدينَ وحزبِ اللهِ المُفلحينَ وعبادِهِ المؤمنين.

(١) يعني الحافظ ضياء الدين المقدسي كما تقدم بيانه في المقدمة.

واغتنِمِ الفرصةَ ....[1] الغفلةِ بتوبةٍ نصوحٍ تُكفِّرُ السيئاتِ، وتَبلُغُ بها أعلىٰ الدرجاتِ، وتُحصِّلُ بها السعادةَ فيما مضىٰ وما هوَ آتٍ.

واعْلَم أنَّ كمالَ السعادةِ وحصولَ السيادةِ علىٰ وفْقِ الإرادةِ لا يُنَالُ مع الإصرارِ علىٰ مخالفةِ الواحدِ القهارِ، ولا يَحصُلُ المُنَىٰ إلا بمخالفةِ الهَوىٰ. فلو ذُقتَ حلاوةَ طاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ لحقرتَ الدُّنيا وأهلَها، وكرهتَ المعصيةَ وحالَها؛ فإنَّ عاقبتَها الخُسرانِ، ولهبَ النيرانِ وسَخَطَ الرَّحمنِ.

أوصىٰ رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم بعضَ أهلِهِ فقال: «لا تَترُكْ صلاةً مُتعمدًا، فإنَّه من يَترُكْ صلاةً مُتعمدًا فقد بَرِئَتْ مِنهُ ذِمةُ اللهِ عزَّ وجلَّ»[2].

ولا تتعرضْ للمَعصيةِ فإنَّها تُسخِطُ اللهَ عزَّ وجل. واعلمْ أنكَ لم تُخلقْ لنَيلِ اللَّذاتِ، ولا لتِنَاولِ الشَّهواتِ، وإنما خُلقتَ للعبادةِ والطاعةِ. ونُصِبتَ في هذا المَقامِ لِنصرِ المَظلومِ والعدلِ في الرَّعيةِ، والقَسمِ بالسَّويَّةِ، وإقامة المِلَّةِ المُحَمَّديةِ والشريعةِ الحَنيفيَّةِ، وقمعِ المُلحدين، وجهادِ أعداءِ الدِّين، وإنصافِ المظلومين من الظالمين، ورحمةِ الضعفاءِ والمساكين. فحقوقُهم عليكَ، وحسابُهم مردودٌ إليك. فلا تُهملِ الحُقوقَ اللازمةَ، فإنَّكَ

---

(١) كلمة لم أتبينها.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٠٧٥) من حديث معاذ رضي الله عنه وفي (٢٧٣٦٤) من حديث أم أيمن رضي الله عنها.

مسؤولٌ عنها ومؤاخذٌ بها. وقد كانَ يوسفُ الصِّدِّيقُ عليه السلام، وهو بالمقامِ الذي أنتَ بِهِ، يجوعُ، فقيل له: تجوعُ وخزائنُ الأرضِ بِيَدِكَ؟ فقال: إني أخافُ أن أشبعَ فأنسىٰ الجائعَ(١).

فانظرْ - أيَّدَكَ اللهُ - في هذا النَّظرِ، هل يُطمعُ مثلَ هذا في زمانِنَا، أو يُرجىٰ ذلكَ من أفعالِنا؟ بل شَمِلَتِ الغَفْلَةُ وغرَّتِ المُهلةُ، واللهُ المُستعانُ وعليهِ التُّكلان.

وقد صحَّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إِنَّمَا نَصَرَ اللهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضُعَفَائِهِم؛ بِدُعَائِهِم وَإِخْلَاصِهِم»(٢).

فَتَقَرَّبْ إِلَىٰ قلوبِ الفُقراءِ، وعَامِلِ اللهَ سُبحانهُ بالإحسانِ إلىٰ الصالحينَ والأولياءِ، واسْتَجْلِبِ النَّصرَ من اللهِ سُبحانهُ بِالأمرِ بالمعرُوفِ والنَّهيِ عنِ المُنكَرِ؛ فإنَّهُ عزَّ وجلَّ قد أمَرَكَ بذلكَ، واسْتَدْعَاهُ منكَ، وحَثَّكَ عليهِ؛ فقالَ عَزَّ مِنْ قائِلٍ: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ [٤٢/ب] مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٧٣) والبيهقي في «الشعب» (٥٢٩١) من قول الحسن البصري رحمه الله. ورواه الدينوري في «المجالسة» (١٩٢) من كلام وهب بن منبه رحمه الله.

(٢) رواه أحمد بن إبراهيم الدورقي في «مسند سعد بن أبي وقاص» (٥١) والشاشي في «المسند» (٧٠) وأبو عبد الله ابن منده في «التوحيد» (٣٤٩) وتمام الرازي في «الفوائد» (٦٩٩) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. ورواه البخاري في «الصحيح» (٢٨٩٦) بلفظ: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم».

[المائدة: ٧٨-٧٩]. قال النبيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَىٰ يَدِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَىٰ الْحَقِّ أَطْرًا؛ أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ»[1]. وجاءَ فِي الآثارِ أنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يقولُ: «مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُونِي فَلَا أَسْتَجِيبَ لَكُمْ، وَتَسْتَنْصِرُونِي فَلَا أَنْصُرَكُمْ»[2]. وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠].

واعلمْ أنَّ صلاحَ الرَّعيَّةِ في صلاحكَ؛ فإِنْ صَلَحْتَ صَلَحُوا. ومِلَاكُ الأمرِ في النُّزُوعِ عن مخالفةِ اللهِ -سبحانهُ- والتَّوبةِ إليهِ والاعتمادِ في كلِّ الأمورِ عليهِ. قالَ أبو الدَّرداءِ - صاحبُ النبيِّ ﷺ -: «أَيُّهَا النَّاسُ، عَمَلٌ صَالِحٌ قَبْلَ الغَزْوِ؛ فَإِنَّمَا تُقَاتِلُونَ النَّاسَ بِأَعْمَالِكُمْ»[3].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (٤) و(٢٠) وابن وضاح القرطبي في «البدع والنهي عنها» (٢٦٧) وأبو يعلىٰ (٥٠٣٥) و(٥٠٩٤) والطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٨٨) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٦٦١) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ١٤٦) وغيرهم، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه الإمام أحمد (٢٥٢٥٥) وإسحاق (٨٦٤) وابن أبي الدنيا في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (٧) والبزار كما في «كشف الأستار» (٣٣٠٤) وغيرهم من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: دخل علي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فعرفت في وجهه أن قد حفزه شيء، فتوضأ، ثم خرج فلم يكلم أحدًا، فدنوت من الحجرات، فسمعته يقول: «يا أيها الناس، إن الله عز وجل يقول»، فذكر الحديث.

(٣) رواه الإمام أحمد في كتاب «الزهد» (٧٢٤) وابن المبارك في «الجهاد» (٥) وأبو داود في «الزهد» (٢٥٢) وعلقه البخاري في «صحيحه» (٤/ ٢٠) تحت باب: عمل صالح قبل القتال.

- قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين رحمه الله: الواجب علىٰ ولي الأمر، أولاً البداءة برعيته بإلزامهم شرائع الإسلام، وإزالة المنكرات، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، فهذا أهم وأوجب من جهاد العدو

واللهُ المسؤولُ وإليهِ الرَّغبةُ في أنْ يأخذَ قلبَكَ إلىٰ طاعتِهِ؛ فَقَد كانَ النَّبيُّ ﷺ يقولُ: «يَا مُصَرِّفَ القُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا إِلَىٰ طَاعَتِكَ»[1]. أعانَكَ اللهُ علىٰ ما وَلَّاكَ، وبَلَّغَكَ مِنْ خيرَيِ الدُّنيا والآخرةِ مُنَاكَ، ونَصَرَكَ علىٰ مَنْ عادَاكَ؛ إنَّهُ سميعُ الدُّعاءِ، فَعَّالٌ لما يشاءُ.

آخر الرسالة

الكافر، وهذا مما يستعان به علىٰ جهاد الكفار، لما روي. فذكر خبر أبي الدرداء رضي الله عنه. «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٢/ ٣/ ١٧٠).

(١) رواه مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه حيث يشاء»، ثم قال، فذكره.

نصيحةُ الحَافِظِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ مُحَمَّدِ ابنِ بَطَّةَ العُكبَرِيِّ لِأَحَدِ إِخوانِهِ يُسلّيهِ ويُصبّره فيها

قال محمد بن طولون الدمشقي: وقد سَبَقَهُما[1] إلىٰ النَّصيحةِ الإمامُ المجابُ الدعوةِ أبو عبدِ اللهِ عبيدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ حمدانَ بنِ بَطَّةَ الحَنبَليُّ.

وقد أخبرنا أبو العباس أحمد بن حسن الصالحي، أنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن العماد، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن المحب، أنا أبو زكريا يحيىٰ بن محمد بن سعد، عن عجيبة بنت الباقداري، وكريمة بنت عبد الوهاب القرشية، كلاهما عن أبي الفرج مسعود بن الحسن الثقفي، وأبي عبد الله الحسن بن العباس الرستمي، وأبي المعالي محمد بن محمد بن الجبان، قالوا: أنا أبو القاسم علي بن أحمد بن البسري إجازة، أنا أبو عبد الله بن بطة، [فقالَ بعدَ البسملةِ والحمدلةِ والصلاةِ: أما بعد][2]،

اعلمْ يا أخي، وهبَ اللهُ لي ولكَ الثباتَ في الأمرِ، وعزيمةَ الرُّشدِ، وشكرَ الأنعُمَةِ[3] معَ الرِّضا بعطائِهِ، والصبرِ علىٰ قضائِهِ، والعافيةِ النافعةِ[4] من بلائِهِ، والمولاةِ لأوليائِهِ، والمعاداةِ لأعدائِهِ، والرحمةِ لجميعِ المسلمينَ. وكتابِي إليكَ – وعالمِ الخفيّاتِ، والمُطَّلِعِ علىٰ السرائرِ – لوِ استطعتُ لكنتُ مكانَهُ، ولقد كتبتُهُ وأنا كالحائرِ القلبِ، المسلوبِ اللُّبِّ؛ وذلكَ لما اتَّصلَ إليَّ أنَّ حادثةً جرتْ، وإنْ كانتْ قد ألَمَّتْ، وأوجعتْ، وأزعجتْ، وعمَّتْ، فإنَّها قد يَقَّنَتْ، وأوضحتْ، وكشفتْ عن عنايةٍ من اللهِ عزَّ وجلَّ قد سَبَقتْ وسَلَفتْ: إمَّا لمنزلةٍ رفيعةٍ

---

(١) يعني الحافظان الضياء وعبد الغني المقدسيان.

(٢) هذه العبارة سابقة الإسناد في الأصل.

(٣) كذا في الأصل، والأنعم جمع النعمة.

(٤) كلمة ليست واضحة في الأصل ولعلها ما أثبته.

علتْ وسبقتْ، أو لذنوبٍ سبقتْ فمُحِيَتْ [1] وحُطَّتْ، ولِدَرَنٍ غَسلتْ وأذهَبَتْ فأنفقت[2].

فقد قيلَ أنَّ من تَحَيَّزتْ إليه شرائعُ الإيمانِ فلا بُدَّ لهُ من خَمسٍ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، فقال عمر بن الخطاب: نِعْمَ الْعِدْلَانِ، وَنِعْمَتِ الْعِلَاوَةُ[3]، ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧][4].

(١) يحتمل رسم هذه الكلمة أن يكون: (فحصت)، ولعل الوجه الأرجح هو ما أُثبت في المتن.

(٢) يحتمل الرسم أن يكون: (فأنفعت) وربما كذلك: (فاتفقت)، ولم أتبين الأرجح علىٰ وجه الجزم.

(٣) (العدلان) المِثلان، ومراده بهما (الصلوات) و(الرحمة) لمن صبر واحتسب عند المصيبة. و(العلاوة) ثناء الله تعالىٰ عليهم بالهداية، والعدلان في الأصل: ما يوضع علىٰ شقي الدابة من الحمل، والعلاوة ما يوضع عليه بعد تمام الحمل، كالزاد وغيره.

(٤) رواه سعيد بن منصور في التفسير من «سننه» (٢٣٣) ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٢٣٩) من طريق مجاهد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وعلقه البخاري في «صحيحه» (٢/ ٨٣) تحت باب: الصبر عند الصدمة الأولىٰ. ورواه الحاكم (٣١٠٥) وعنه البيهقي في «السنن الكبير» (٧٢٠٧) وفي «شعب الإيمان» (١٤٨٤) من طريق مجاهد، عن سعيد بن المسيب، عن عمر رضي الله عنه.

- قال ابن القيم رحمه الله في «إغاثة اللهفان» (٢/ ٩١٢): وقد جمع الله سبحانه لأهل هدايته بين الهدىٰ والرحمة والصلاة عليهم، فقال تعالىٰ: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧]. قال عمر بن الخطاب فذكر الخبر، ثم قال: فبالهدىٰ خَلَصُوا من الضلّال، وبالرحمة نَجَوْا من الشّقاء والعذابِ، وبالصلاة عليهم نالُوا منزلةَ القُرْب والكرامة. والضالُّون حصل لهم ضدّ هذه الثلاثة: الضلالُ عن طريق السعادة، والوقوعُ في ضِدّ الرحمة من الألم والعذاب، والذمُّ واللعنُ الذي هو ضد الصلاة. اهـ

وكان يُقالُ: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُحِبُّ عبدَهُ المؤمنَ فيبتليهِ، ثم يعودُ عليهِ فيقتَنِيهِ[1]. وكذلك تُوجِبُ أحكامُ العقلِ أنَّ القِنْيَةَ لا تصلحُ أن تكونَ إلَّا خالصةً من كلِّ عيبٍ، نقيَّةً من كلِّ شَوْبٍ. وقالَ خالدُ بنُ مَعْدانَ: إذا كنتَ تُحِبُّ اللهَ، وهو يبتليكَ، فاعلَمْ أنَّهُ يُريدُ أن يُعافِيَكَ[2]. ويُقالُ في معنىٰ قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ لموسىٰ: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]، قالَ: وطَحَنَّاكَ بالبلاءِ طَحْنًا حتىٰ خرجتَ صافيًا نقيًّا[3]. وقالَ كَعبٌ: قرأتُ في الكتابِ الأوَّلِ [٤٣/ أ] ما[4] كَرُمَ عبدٌ علىٰ اللهِ إلَّا ازدادَ البلاءُ عليهِ شِدَّةً[5]. وقالَ النبيُّ صلىٰ اللهُ عليهِ وسلم: «إذا أحبَّ اللهُ قومًا ابْتَلاهُم، فمَن رَضِيَ فلهُ الرِّضا، ومَن سَخِطَ فلهُ السُّخْطُ»[6]. وقالَ صلىٰ اللهُ عليهِ وسلَّم: «أشدُّ الناسِ بلاءً

---

(١) أي اتَّخَذَه واصطفاه، يقال: قناه يَقنُوه، واقتناه: إذا اتَّخَذَه لنفسه. وروىٰ نحو هذا المعنىٰ ابن الجنيد الخُتُّلي في «المحبة لله» (١٥٣) ومن طريقه ابن المحب المقدسي في «الصفات» (٢٠٩١) وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٤٩٩) والدولابي في «الكنىٰ والأسماء» (٢٧٦) من حديث أبي عنبة الخولاني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «إذا أحب الله تعالىٰ عبداً ابتلاه، وإذا أحبه الحب البالغ اقتناه». قالوا: وما اقتناه؟ قال: «لا يترك له مالاً ولا ولدًا». اللفظ للختلي.

(٢) لم أجده. ونسبه التوحيدي في «البصائر والذخائر» (٨/ ٧١) لبعض الصوفيّة.

(٣) لم أجده.

(٤) سقطت من الأصل وهي مثبتة في التعقيبة.

(٥) رواه الإمام أحمد في كتاب «الزهد» (١٩٢١) وأبو بكر المرُّوذي في «أخبار الشيوخ وأخلاقهم» (٣٢٣) والحارث في «مسنده» كما في «بغية الباحث» (٢٨٧) وأبو العرب التميمي الإفريقي في «المِحَن» (ص٣٠١) وغيرهم. وليس عند أحد منهم قوله: (قرأتُ في الكتابِ الأوَّلِ).

(٦) رواه الترمذي (٤/ ٦٠١) وابن ماجه (٤٠٣١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. ورواه الإمام أحمد

الأنبياءُ، ثم الذينَ يلونهم، ثم الذينَ يلونهم؛ فكلَّما اشتدَّ إيمانُ المؤمنِ اشتدَّ بلاؤُه، وكلَّما ضَعُفَ إيمانُ المؤمنِ ضَعُفَ بلاؤُه، وإنَّ البلاءَ لا يزالُ بالمؤمنِ حتىٰ يمشيَ علىٰ الأرضِ وما عليهِ خَطيئةٌ»[1].

وقالَ عثمانُ بنُ يَزْدُوْيَه: كنتُ معَ وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ وسعيدِ بنِ جُبيرٍ يومَ عرفةَ تحتَ نخلِ ابنِ عامرٍ، فقالَ وهبٌ لسعيدٍ: يا أبا عبدِ الله، كمْ لكَ منذُ خِفْتَ الحَجّاجَ؟ قالَ: خرجتُ من عندِ امرأتي وهي حامِلٌ، فجاءني الذي في بطنِها وقد خرجَ وجهُهُ[2]، فقالَ وهبٌ: إنَّ مَن كانَ قبلَكم كان إذا أصابَ أحدَهُمْ بلاءٌ عَدَّهُ رَخاءً، وإذا أصابَهُ رَخاءٌ عَدَّهُ بلاءً[3].

(٢٣٦٢٣) من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه بلفظ: «إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع».

(١) هذا النص – فيما يظهر – في حقيقته مركَّب من حديثين جمعهما المؤلِّف في سياق واحد، فالحديث إلىٰ قوله: «يلونهم» رواه الإمام أحمد (٢٧٠٧٩) وإسحاق (٢٤١٣) والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٤٥٤) وغيرهم من حديث فاطمة بنت اليمان رضي الله عنهما أنها قالت: أتينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نعوده في نساء، فإذا سقاء معلق نحوه، يقطر ماؤه عليه من شدة ما يجد من حر الحمىٰ، قلنا: يا رسول الله، لو دعوت الله فشفاك، فقال: رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فذكره.

– وأما من قوله: «فكلَّما اشتدَّ إيمانُ المؤمنِ» فهو قطعة من حديث رواه الإمام أحمد (١٦٠٧) وابن ماجه (٤٠٢٣) والترمذي (٢٣٩٨) وغيرهم، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) يعني نبت شعر وجهه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٢١٨٤) ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٥٦) و (٤/ ٢٨٩).

وفي بعضِ كتبِ اللهِ عزَّ وَجَلَّ: إذا سَلَكَ بكَ طريقَ أهلِ البلاءِ فَطِبْ نَفْسًا، فقد سلكَ بكَ طريقَ الأنبياءِ والصَّالحين[1]. ويُقالُ: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أوحىٰ إلىٰ الدنيا: مَرِّي[2] علىٰ عبدي المؤمنِ، يصبِرْ عليكِ، ولا تَحْلَولي له فتَفْتِنيه. وقيلَ: إنَّ رجلًا من الصالحين أمرَ بمعروفٍ، ونهىٰ عن منكرٍ، فقُطِعَتْ يَداهُ ورِجْلاهُ، وأُلْقِيَ في السِّجنِ، فكتبَ إليه رجلٌ من إخوانِهِ يُعَزِّيهِ ويُصَبِّرُهُ[3].

فكتبَ إليه: يا أخي، كتبتَ إليَّ تُعَزِّيني وتُصَبِّرُني وقد أُصِبْتُ، ولو كنتَ كتبتَ تُهَنِّيني، أصبحتُ في منزلةِ الرَّغائِبِ، أنظرُ إلىٰ العجائبِ، وإنِّي رأيتُ اللهَ عزَّ وجلَّ يتحبَّبُ إلىٰ من يؤذِيهِ، فكيفَ بمن يُؤْذَىٰ فيه؟ وما ظَنُّكَ بالكريمِ الذي يُؤْتِي مَن يَسخَطُهُ ما يُرضِيهِ، فكيفَ بمن يُرضِيهِ ويَسخَطُ الناسُ فيه؟ وما ظَنُّكَ بالكريمِ الذي يتفضَّلُ برحمتِهِ علىٰ مَن يعاديهِ، فكيفَ بمن يُعادَىٰ فيه[4]؟

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» كما في «حسن التنبه» (٥/ ٢٠٠) ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٥٦) عن وهب بن منبه قال: قرأت في كتاب رجل من الحواريين: إذا سلك بك طريق البلاء، أو قال طريق أهل البلاء فطب نفسًا، فقد سلك بك طريق الأنبياء والصالحين. وإذا سلك بك طريق الرخاء فقد أخذ بك طريق غير طريق الأنبياء والصالحين عليهم الصلاة والسلام.

(٢) من المرارة، وهي ضد الحلاوة. والمعنىٰ أن الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ الدنيا أن تُذيق عبده المؤمن شيئًا من مرارتها، ليختبر صبره وثباته، وألّا تُظهِر له ما يَحْلُو منها فيفتتن به ويتعلَّق بزخارفها.

(٣) في الأصل: (ويصبرنه).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٦٧) ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٣٥) عن محمد بن أبي القاسم، مولىٰ بني هاشم وكان قد قارب المائة قال: وعظ عابدٌ جبارًا فأَمَر به فقُطعت يداه ورجلاه وحُمل إلىٰ متعبده، فجاء إخوانه يعزونه فقال: لا تُعَزُّوني ولكن هَنِّئُوني بما ساق الله إليَّ، ثم قال: إلهي أصبحت في منزلة الرغائب

حَسْبُ المؤمنِ أن يَعْلَمَ أنَّ الأمرَ كذا، فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ جعلَ مصالحَنا في مكارهِنا، ورِضاهُ فيما يَسخَطُنا، فقال: ﴿فَعَسَىٰ[1] أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]. فللأقدارِ الاختيارُ، الرِّضا علينا، وفيها الخِيرةُ لنا من حيثُ نَدري ومن حيثُ لا نَدري. ونحنُ يا أخي – تولاكَ اللهُ – فعلىٰ سَفَهِ أحلامِنا، وقِصَرِ أعمارِنا، وقِلَّةِ اعتبارِنا، فما رأَيْنا في هذه الأمَّةِ مع[2] مَن مضىٰ ممَّن أعلىٰ اللهُ قدرَه، وأطابَ نَشْرَه، ورَفَعَ اسمَه وذِكْرَه، إلَّا مَن سَبَكَهُ بالامتحانِ، وطَبَخَهُ بالبلاءِ بصُنوفِ الألوانِ.

أنظر إلىٰ العجائب، إلهي أنت تودد بنعمتك إلىٰ من يؤذيك، فكيف تودِدني إلىٰ من يؤذىٰ فيك؟

– وقال التنوخي في «الفرج بعد الشدة» (٢/ ١٥٨): حبس عبدُ الله بن طَاهِر، مُحَمَّد بن أسلم الطوسي، فَكتب إِلَيْهِ بعض إخوانه يعزيه عَن مَكَانَهُ. فَأَجَابَهُ: كتبت إِلَيّ تعزيني، وَإِنَّمَا كَانَ يجب أَن تهنيني، أريت الْعَجَائِب، وَعرضت عَليّ المصائب، إِنِّي رَأَيْت الله تَعَالَىٰ يتحبب إِلَىٰ من يُؤْذِيه، فَكيف من يُؤْذىٰ فِيهِ، إِنِّي نزلت بَيْتا سَقَطت فِيهِ عني فروض وَحُقُوق، مِنْهَا الْجُمُعَة، وَالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْي عَن الْمُنكر، وعيادة الْمَرِيض، وَقَضَاء حُقُوق الإخوان، وَمَا نزلت بَيْتا خيرا لي فِي ديني مِنْهُ. فَأُخْبر بذلك ابْن طَاهِر، فَقَالَ: نَحن فِي حَاجَة إِلَىٰ ابْن أسلم، أَطْلقُوهُ، فأفرج عَنهُ.

(١) في الأصل: (وعسىٰ).

(٢) الكلمة ليست واضحة وأقرب ما ظهر لي فيها ما أثبته.

هل تُرِيدُ فوقَ سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ؟ أليس ضُرِبَ بالسَّوْطِ، وأُلبِسَ تُبَّانَ الشَّعْرِ، وطِيفَ به في الناس[1]؟ وفُعِلَ بيحيىٰ بنِ أبي كثيرٍ مثلُ هذا[2]؟ أَوَلَيْسَ قد ضُرِبَ محمدُ بنُ شِهابٍ الزُّهريُّ

---

(١) روىٰ ابن سعد في «الطبقات الكبير» (٧/ ١٢٨): عن أبي المليح قال: حدثني غير واحد أن عبد الملك بن مروان ضرب سعيد بن المسيب خمسين سوطًا وأقامه بالحرَّة وألبسه تُبَّان شعر. قال: فقال سعيد: أما والله لو علمت أنهم لا يزيدونني علىٰ الضرب ما لبست لهم التبان، إنما تخوفت أن يقتلوني فقلت: تبان أستر من غيره.

– وفي زوائد كتاب «الزهد» للإمام أحمد بن حنبل (٢٣٠٧) ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٧٠) والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٤٧٦): عن رجاء بن جميل الأيلي قال: قال عبد الرحمن بن عبدٍ القاري لسعيد بن المسيب حين قدمت البيعة للوليد وسليمان المدينة من بعد أبيهما: إني مشير عليك بخصال ثلاث، قال: وما هي؟ قال: تعتزل مقامك، فإنك تقوم حيث يراك هشام بن إسماعيل، قال: ما كنت لأترك مقاما أقومه منذ أربعين سنة. قال: أو تخرج معتمرًا، قال: ما كنت لأنفق مالي وأجهد بدني في شيء ليس فيه نية. قال: فما الثالثة؟ قال: تبايع، قال أرأيت إن كان الله عز وجل أعمىٰ قلبك كما أعمىٰ بصرك فما علي؟ قال: وكان أعمىٰ. قال رجاء: فدعاه هشام إلىٰ البيعة فأبىٰ فكتب فيها إلىٰ عبد الملك فكتب إليه عبد الملك: ما لك ولسعيد؟ ما كان علينا منه شيء نكرهه، فأما إذا فعلت فاضربه ثلاثين سوطا وألبسه تبان شعر وأوقفه لئلا يقتدي به الناس فدعاه هشام، فأبىٰ فقال: لا أبايع لاثنين قال: فضربه ثلاثين سوطًا وألبسه تُبانًا من شعر وأوقفه للناس، قال رجاء: حدثني الأيليون الذين كانوا في الشُّرَط بالمدينة قالوا: علمنا أنه لا يلبس تبانًا طائعا، فقلنا له: يا أبا محمد إنه القتل، فاستر عورتك قال: فلبسه قال: فلما ضرب فتبين له أنا خدعناه فقال: يا معجلة أهل أيلة لولا ظننت أنه القتل ما لبسته.

– وفي زوائد «الزهد» (٢٢٥٨) ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٧٠) عن عمران بن عبد الله قال: دعي سعيد بن المسيب للوليد بن سليمان بعد عبد الملك بن مروان فقال: لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار، قال: قيل: ادخل من باب واخرج من الباب الآخر، قال: والله لا يقتدي بي أحد من الناس قال: فجلدوه مائة وألبسوه المسوح.

– وفي «الحلية» (٢/ ١٧١): عن أبي عوانة عن قتادة قال: أتيت سعيد بن المسيب وقد ألبس تبان شعر وأقيم في الشمس فقلت لقائدي: أدنني منه، فأدناني منه، فجعلت أسأله خوفًا من أن يفوتني وهو يجيبني حسبة والناس يتعجبون.

(٢) قال معمر بن راشد: أريد يحيىٰ بن أبي كثير علىٰ البيعة لبعض بني أمية، فأبىٰ حتىٰ ضُرب، وفُعل به كما فُعل بابن المسيب. «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٢٨٦) و«تاريخ ابن أبي خيثمة» (١٢٦٤).

بالسياطِ، وعُلِّقَتْ كُتُبُهُ في عنقِهِ، وطِيفَ به في المسجد[1]؟ أَوَلَيْسَ قد ضُرِبَ محمدُ بنُ المُنْكَدِرِ وأصحابٌ له بالسياطِ[2]؟ وضُرِبَ ربيعةُ بنُ أبي عبدِ الرحمنِ، وحُلِقَ رأسُهُ ولِحْيَتُهُ[3]؟

---

(١) في «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٦١): عن الحسن بن عبد العزيز الجَروي، قال: قلت للحارث ابن مسكين: إن هذا الرجل- أعني أحمد بن حنبل - قد ضُرب، فاذهب بنا إليه، فذهبتُ أنا وهو، فدخلنا عليه حِدْثان ضربه. فقال لنا: ضُربت فسقطتُ وسمعت ذاك - يعني ابن أبي دُؤاد - يقول يا أميرَ المؤمنين، هو والله ضالٌّ مضلٌّ. فقال له الحارث: أخبرني يوسف بن عمر بن يزيد، عن مالك بن أنس: أن الزُّهري سُعيَ به حتىٰ ضُرب بالسياط، فقيل لمالك بعد ذلك: إنّ الزُّهري قد أقيم للناس وعُلّقت كتبه في عنقه، فقال مالك: قد ضُرب سعيد ابن المسيّب بالسياط وحُلق رأسه ولحيته، وضُرب أبو الزِّناد بالسياط، وضرب محمد بن المنكدر وأصحاب له في حَمّام بالسياط، قال: وقال عُمر بن عبد العزيز: لا تَغبطوا أحداً لم يُصبه في هذا الأمر أذىٰ، قال: وما ذكر مالك نفسه، قال: فأُعجب أحمدُ بقول الحارث.

(٢) عن مصعب الزبيري قال: حدثني ربيعة بن عثمان التميمي قال: دخلت أنا ومحمد بن المنكدر الحمَّام، فدخل علينا رجل فوعظناه، فأتىٰ الأمير فقال: إن في الحمام قوم من الخوارج، قال: فبعث إلينا فضربنا بالسياط وما سَأَلَنَا عن شيء.

- وعن مالكٍ: أنَّ ربيعةَ بنَ أبي عبدِ الرحمن، لَمَّا ضُرِبَ وحُلِقَ رأسُه ولحيتُه، عتبَ الأميرُ علىٰ ضارِبِه؛ فضربه الأميرُ، وحَلَقَ رأسَه ولحيتَه، وأقامه للناس. فقيل لربيعةَ: إنَّ الأميرَ قد ضرب فلانًا، وحلق رأسَه ولحيتَه، وأقامه للناس. فقال ربيعةُ: ترون من حظِّنا من ذلك النظرَ إليه والشماتةَ به؟ إنَّا نؤمِّلُ من ثوابِ اللهِ عزَّ وجلَّ ما هو أعظمُ من ذلك.

- قال مالكٌ: وإنَّ محمدَ بنَ المنكدرِ، لَمَّا ضُرِبَ، فَزِعَ لضربِه أهلُ المدينة، فاجتمعوا إليه، فقال: لا عليكم؛ إنَّه لا خيرَ فيمَن لا يُؤذىٰ في هذا الأمر.

- وعن محمدِ بنِ وضَّاحٍ قال: مات ربيعةُ بنُ أبي عبدِ الرحمن ومحمدُ بنُ المنكدرِ سنةَ ستٍّ وثلاثين ومائة، وضُرِبَ محمدُ بنُ المنكدر، وضُرِبَ ربيعةُ، وحُلِقَتْ لحيتُه. كتاب «المحن» لأبي العرب التميمي (ص٣٢٦).

(٣) في «طبقات المحدثين بأصبهان» لأبي الشيخ (٣/ ١٩٤): عن مالك بن أنس قال: وضرب ربيعة بن أبي عبد الرحمن، وحلق رأسه ولحيته، وضرب ابن المنكدر مع أصحاب له.

- وفي «إكمال تهذيب الكمال» لمغلطاي (٤/ ٣٥٤): عن أبي داود قال: ضرب ربيعة بالسياط، وحلقت نصف لحيته، فحلق هو النصف الآخر.

وقد قالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: لا أَغْبِطُ أحدًا سَلِمَ من الأذىٰ، ولم يَحِلَّ به بلاءٌ، ولم يُؤْتَ[1] في هذا الأمرِ[2]. وكان يُقالُ: إذا أحبَّ اللهُ أن يُتْحِفَ عبدَهُ المؤمنَ، قَيَّضَ[3] له مَن يؤذيه. وقالَ سفيانُ: المؤمنُ مُؤْذًىٰ، ولا خيرَ فيمَن لا يُؤْذىٰ[4].

هذا ابنُ عَوْنٍ[5] رحمهُ اللهُ؛ رغِبَتْ إليه امرأةٌ من العربِ لفضلِهِ وصلاحِهِ، فزوَّجَتْهُ نفسَها، فسَعَتْ بها جاريةٌ كانتْ لها إلىٰ بلالِ بنِ أبي بُرْدَةَ [٤٣/ب] فقالت: إنَّ ها هنا رجلًا من الموالي قد تزوَّج امرأةً من العربِ – تعني ابنَ عونٍ – فغَضِبَ بلالٌ، واشتدَّ غضبُهُ، فبعثَ إلىٰ ابنِ عونٍ، فضَرَبَهُ مائةَ سَوْطٍ. وهذا جليسُ أبيكَ وخِدْنُهُ. فندِمَ بلالٌ، وقامَ إلىٰ ابنِ عونٍ حتىٰ اعتذرَ إليه واستَحَلَّهُ، وخَلَّىٰ سبيلَهُ، ورُفِعَ ابنُ عونٍ إلىٰ منزلِهِ. فبعثَتْ إليه المرأةُ الجاريةَ، ووهبتْها

---

(١) في الأصل: (يؤتىٰ).

(٢) رواه يعقوب الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٤٧٤) وابن الجوزي في «المناقب» (ص٤٦١) عن مالك، قال عمر بن عبد العزيز.

(٣) في الأصل: (قيظ).

(٤) رواه البيهقي في «الشعب» (٩٦٠٥) عن بشر بن الحارث قال: إذا أحب الله أن يتحف العبد سلط عليه من يؤذيه، قال: وقال سفيان: لا خير فيمن لا يؤذىٰ.
– وروىٰ ابن أبي الدنيا في «الإشراف في منازل الأشراف» (٧٩) عن محمد بن مسلم الطائفي، قال: كان يقال: إذا أراد الله أن يتحف عبدًا قيض له من يظلمه.
– وروىٰ ابن أبي شيبة (٣٧٩٧٧) عن سلمة بن كهيل قال: لو كان المؤمن علىٰ قصبة في البحر لقيض الله له من يؤذيه. وروىٰ نحوه ابن المقرئ في «معجمه» (٤٤٣) من قول طلق بن حبيب.

(٥) هو عبد الله بن عون بن أرطبان المزني مولاهم، أبو عون البصري. أحد أعلام المحدثين، جليل القدر، فضائله ومناقبه كثيرة. يروي عن ابن سيرين والحسن رحم الله الجميع. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٣٦٤).

له. وما زادَ الجاريةَ حينَ أتَتْهُ أن قالَ لها: يا فلانةُ، هكذا يكونُ الناسُ؟ ثم عَتَقَها، وبَوَّأَها بيتًا له في دارِهِ، ولم تَزَلْ في نَفَقَتِهِ ومُؤْنَتِهِ حتىٰ ماتَتْ(١).

أحسبُ ابنَ عونٍ هذا البلاءَ نعمةً عظيمةً، فَعَتَقَ الجاريةَ، وأنعَمَ عليها مكافأةً لها؛ إذ كانت هي سببَ هذه النعمةِ التي سِيقَتْ إليه.

ولما أَن سُيِّرَ عبدُ اللهِ بنُ العباسِ إلىٰ الطائفِ كتبَ إليه محمدُ بنُ الحَنَفيَّةِ: أما بعد، فقد بَلَغني ما كان من تَسييرِكَ إلىٰ الطائفِ، فرفعَ اللهُ لكَ بذلك عندَهُ ذِكرًا، وحطَّ به عنكَ وِزرًا. يا ابنَ عمٍّ، إنما يُبتلىٰ الصالحون، ويُتَعَمَّدُ بالكرامةِ الأخيارُ، ولو لم نُؤجَرْ وتُؤجَرْ إلا فيما نُحِبُّ

---

(١) لم أقف علىٰ القصة بهذا السياق. وروىٰ ابن سعد في «الطبقات» (٩/ ٢٦٢): عن بكار بن محمد قال: ما سمعت ابن عون ذاكرًا بلال بن أبىٰ بردة بشيء قط، ولقد بلغني أن قومًا قالوا: يا أبا عون بلال فعل، فقال: إن الرجل يكون مظلومًا فلا يزال يقول حتىٰ يكون ظالمًا، ما أظن أحدا منكم أشد علىٰ بلال مني، قال: وكان بلال قد ضربه بالسياط لأنه كان تزوج امرأة عربية.

- وروىٰ الفسوي في «المعرفة» (٢/ ٦٣): عن ابن شوذب قال: تزوج ابن سيرين عربية وكره الموالي لما يدخلهم من السبي. قال: فذهب ابن عون يتشبه به فلم يحمل له العرب ذلك، فرفعوه إلىٰ بلال بن أبي بردة ابن أبي موسىٰ الأشعري فضربه وفرق بينهما، قال له: طلقها. قال: هي طالق. قال: ثلاثًا قال: واحدة تبتها. قال: أقول له ثلاثًا وهو يبتها. وقال له: طلقها. قال: هي طالق ثلاثا. قال: واحدة. قال: أقول له ثلاثًا وهو يفتيني بطلاقها.

- وعن مكي بن إبراهيم، قال: كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن أبي بردة، فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت، فقالوا له: يا أبا عون، أما تذكره لما ارتكب منك؟ فقال ابن عون: إنما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة: لا إله إلا الله، ولعن الله. فلأن يخرج من صحيفتي لا إله إلا الله أحب إليَّ من أن يخرج لعنه الله. رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (٧٤١).

- وقد روي في محنته عدة روايات وفيها أن الذي سعىٰ فيه عند بلال هو قتادة السدوسي لأن التي تزوجها ابن عون كانت سدوسية من قومه. وأسانيدها فيها جهالة فآثرت الإعراض عن إيرادها لذلك. انظر «أنساب الأشراف» (٩/ ٥١) و«أخبار القضاة» (٢/ ٢٨) و«المحن» (ص٣٤٠).

وتُحِبُّ قلَّ الأجرُ. وقد قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، عَزَمَ اللهُ لكَ علىٰ الشكرِ علىٰ النَّعْماءِ، والصبرِ علىٰ البلاءِ، ولا أَشْمَتَ بنا وبكَ الأعداءَ[١].

إذا ضاقَ ذَرْعُكَ بما لَحِقَكَ، وقد عيلَ صبرُكَ، فاستحضِرِ المِحنةَ لأبي عبدِ اللهِ أحمدَ بنِ حنبلٍ رحمهُ اللهُ، وأَنْعِمِ النظرَ، ورُدَّ في أمرِهِ الفكرَ؛ فإنَّكَ ترىٰ العِبرَ. لو كان في القرونِ الخاليةِ والأممِ الماضيةِ لكان من العجبِ، ولو كان في بني إسرائيلَ لكان من الحكمةِ أن تُنقَلَ أخبارُهُ إلىٰ من بعدَه.

إلىٰ[٢] رجلٍ ماتَ أبوهُ وهو حَمْلٌ في بطنِ أُمِّهِ، فربَّتْهُ يتيمًا، لم يقُمْ بيومِ إمارةٍ، ولا في سوقٍ لتجارةٍ، فما عُرِفَ إلا طلبُهُ العلمَ وصُحبةُ أهلِهِ، والحَرُّ والشمسُ في جمعِهِ، والمبالغةُ في اقتفاءِ آثارِ الصالحين، واتباعِ العلماءِ الربانيين. فهو خيرٌ بلا شرٍّ، ونفعٌ بلا ضرٍّ. حتىٰ إذا عَلَتْ في ذلك سِنُّهُ، وتهذَّبَتْ بالعلمِ والحكمةِ خَلائقُهُ، وحُمِدَتْ طرائقُهُ، وأُمِنَتْ بَوائقُهُ، أُخِذَ بقَيْدٍ، وحُمِلَ علىٰ الأقتابِ[٣]، وضُرِبَ به عُرْضَ البلادِ، وسُلِكَ به البراري والقِفارَ، وقيلَ له: اكفرْ بالرحمنِ، وأَلحِدْ بالقرآنِ. ثم حُمِلَ مَوْرودًا علىٰ تلك الحالِ، فحُبِسَ في أضيقِ المحابسِ،

(١) أورده التنوخي في «الفرج بعد الشدة» (١/ ١٧٠) بلا إسناد.
(٢) كذا في الأصل.
(٣) القتب: الرحل الصغير علىٰ قدر سنام البعير، والجمع: أقتاب.

وقُيِّدَ بثقيلِ الحديدِ ثلاثينَ شهرًا، يُعرَضُ عليه الكفرُ بالغُدوِّ والآصالِ، ويُتَوَعَّدُ بأقبحِ الوعيدِ، وأفحشِ التهديدِ. ثم آلَ أمرُهُ أن يُضرَبَ بالسياطِ ضربًا تُعُمِّدَ فيه قتلُهُ، وأُريدَ به هَلَكَتُهُ؛ ثم كانت العاقبةُ له، والعاقبةُ للتقوىٰ في الآخرةِ والأولىٰ. وقُتِلَ قبلَ ذلك النبيونَ، وآلُ النبيينَ، فيُطْلَبُ اللهُ بدمائِهِم. وكفىٰ باللهِ للمظلومينَ ناصرًا، ومن الظالمينَ مُنتقِمًا. وأنتَ يا أخي – أعزَّكَ اللهُ – لكَ في بعضِ هذا سَلْوَةٌ وعَزاءٌ علىٰ ما نَابَك فيه صبرًا، ولك أجرًا.

أتمَّ اللهُ عليك النعمةَ وأَوزَعَكَ شُكرها، وألبَسَكَ لِباسَ العَافية، واستعمَلكَ [٤٤/أ] بطاعتِهِ فيها وكفاكَ كُلَّ مَؤُونةٍ بِلا مؤونة(١)، وأمدَّكَ بالسترِ منه، والصيانةِ، والمعونةِ.

وقد كنتُ أحبُّ أن أكونَ أنا موضعَ هذا الكتابِ، فأُشافِهَكَ بالمسألةِ عن خبرِكَ، وأستشرِحَكَ السببَ في قصتِكَ، وأستغنيَ بالنظرِ عن الخبرِ(٢) وبالمعاينةِ عن المكاتبةِ. وأرجو أن يُيسِّرَ اللهُ الكريمُ ذلك، فأنتهزُ الفرصةَ فيه إلىٰ أن يَهَبَ اللهُ ذلك، ويُعينَ عليه.

فإذا استراحَ جسمُكَ، وخلا وجهُكَ، وسكنت من رَوْعَةِ الظلمِ والأذِيَّةِ نفسُكَ، ونشطتَ لكتبِ أسطرٌ أَقِفُ منها علىٰ سلامتك، واجتماعِكَ مع أهلِكَ، وعافيةِ جسمِكَ، لا زِلْتَ سليمًا

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) في الأصل: (بالخبر بالنظر عن الخبر) ولعل الصواب ما أثبته.

معافًىٰ فيه وفي دينِكَ إلىٰ مُنتَهىٰ أجلِكَ. وأستودِعُ اللهَ دينَكَ، وأمانَتَكَ، وخواتيمَ عملِكَ، وخصَّصتُكَ وخاصَّتَكَ وأهلَ العنايةِ والخدامةِ[1] بالسلامِ التامِّ.

آخر الرسالة

(١) لم تتبيَّن لي الكلمة بدقة، وأقربُ ما يترجح عندي هو الوجهُ الذي أثبتُّه.